سلسلة الدراسات الفلكلورية (1)

رؤى حول دراسة الفولكلور

د. عفاف عبد الحفيظ محمد رحمة

الطبعة الأولى 2025م

سلسلة الدراسات الفلكلورية (1)

رؤى حول دراسة
الفولكلور

د. عفاف عبد الحفيظ محمد رحمة

الطبعة الأولى
2025م

رؤى حول دراسة
الفولكلور

د. عفاف عبد الحفيظ محمد رحمة

الإيداع القانوني

...../2025م

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 00249122094856 - 121566207
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:
الطبعة الأولى – 2025م
جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير والامتنان لمركز دراسات وبحوث حوض البحر الأحمر، ودار أريثيريا للنشر والتوزيع لتبنيهما نشر هذه الرؤى.

مقدمة

يمثل السودان، بموقعه الجغرافي كنقطة التقاء بين أفريقيا والشرق الأوسط، نسيجاً غنياً من التراث الثقافي الذي يشمل مواقع أثرية، وتقاليد شفهية، ولغات، وعادات اجتماعية متنوعة. ولا تكمن أهمية هذا التراث في قدمه فحسب، بل أيضاً في دوره في تشكيل الهوية الوطنية السودانية ومساهمته في التاريخ العالمي. ويشتمل تاريخ السودان على حضارات قديمة مثل كوش ومروي، وتفاعلات مع مصر، وظهور ممالك مسيحية وإسلامية، وماضي استعماري، كل ذلك ترك آثاراً ملموسة وغير ملموسة. وقد يكون إدراك هذه التداخلات والتعقيدات أمراً بالغ الأهمية في فهم الدوافع اللاحقة وراء جهود توثيق التراث السوداني.

كانت وحدة أبحاث السودان اول وحدة متعددة التخصصات أنشئت بكلية الآداب بجامعة الخرطوم في عام 1963 عملت على دراسة الثقافة والتراث السوداني. ويشير هذا الوعي المبكر إلى قيمة جوهرية يوليها الشعب السوداني لتراثه وإدراكا لإمكانية فقده بسبب التحديث أو التأثيرات الخارجية. وقد لعبت جامعة الخرطوم، بصفتها أقدم وأكبر جامعة في السودان، دورا محوريا في تعزيز البحث الأكاديمي والحفاظ على التراث. ويعكس إنشاء الجامعة وتطورها تقلبات المشهد الاجتماعي والسياسي في السودان بعد الاستقلال، كما يعكس انشاءها لهذه الوحدة متعددة التخصصات في ذلك التوقيت تركيزها المتزايد على أهمية صون الهوية الوطنية وتطوير البحث العلمي.

إن هذا الإدراك المبكر لأهمية التراث السوداني لم يأت من فراغ، بل استند إلى وعي متزايد بالتحديات التي تواجه هذا التراث. فمع رياح

التغيير التي هبت على السودان بعد الاستقلال، وما صاحبها من مساعي التحديث والتنمية، برز تخوف من طمس بعض الجوانب الفريدة من الهوية الثقافية. كما أن الانفتاح على ثقافات أخرى، وإن كان يحمل في طياته فرصا للتبادل والإثراء، إلا أنه أثار أيضا مخاوف من تأثيرات قد تهدد أصالة التقاليد والعادات المحلية. ولذلك، مثّل إنشاء وحدة أبحاث السودان في جامعة الخرطوم استجابة واعية لهذه التحديات، ورغبة أكاديمية ووطنية في صون هذا الرصيد الحضاري للأجيال القادمة.

ولم تقتصر الرؤي حول أهمية توثيق التراث السوداني في تلك الفترة على مجرد الحفاظ على الماضي، بل امتدت لتشمل أهدافا مستقبلية طموحة. فقد كان هناك إدراك بأن فهم الجذور التاريخية والثقافية يمثل أساسا متينا لبناء هوية وطنية قوية وموحدة في السودان المستقل. كما نُظر لجمع وتوثيق التراث كأداة قيمة تسهم في تعزيز البحث العلمي والدراسات الأكاديمية حول جوانب مختلفة من الواقع السياسي والاجتماعي في البلاد، مما يسهم في فهم أعمق للتحديات التي تواجهه وإيجاد حلول مستدامة لها. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك طموح في إبراز ثراء وتنوع التراث السوداني على الصعيد الإقليمي والدولي، وتعزيز مكانة السودان كمركز حضاري وثقافي هام.

1

وحدة أبحاث السودان
النشأة والاهداف1963م

يشير توقيت إنشاء وحدة أبحاث السودان، بعد سبع سنوات من استقلال السودان، إلى وجود صلة بين انشائها وبين بالشعور المتنامي بالهوية الوطنية والحاجة إلى تحديد وحفظ الثقافة السودانية من منظور محلي. حيث شهدت فترة ما بعد الاستقلال في العديد من الدول الأفريقية تنامي المشاعر الوطنية لاستعادة الثقافات الأصلية والاحتفاء بها، غالبا من خلال المؤسسات الأكاديمية. وكانت اللغات والتراث الأفريقي عرضة للتهميش والتجاهل خلال فترة الاستعمار، لذا سعى الأفارقة إلى استعادة هويتهم الثقافية والتعبير عن ذواتهم من خلال إحياء هذه العناصر. على سبيل المثال، اظهرت الدولة في السنغال اهتماما كبيرا بالحفاظ على التراث الشفوي، من خلال جمع وتوثيق القصص والأساطير والأغاني الشعبية. كما أسس الرئيس ليوبولد سيدار سينغور (1906–2001) متحفًا للفنون الأفريقية في داكار، وشجع على دراسة الثقافة السنغالية، ووقف وراء إطلاق أول نسخة من مهرجان الفنون الأفريقية نظمت سنة 1966 بداكار، والذي سعت فكرته إلى إحياء الفنون الأفريقية وربط الأجيال الحالية بتراثها الثقافي. وفى نيجيريا شهدت الجامعات في الستينات حركة نشطة في مجال الدراسات الأفريقية، وظهرت العديد من المؤلفات التي تناولت التاريخ والثقافة النيجيرية. وسعت الدولة جاهدة للحفاظ على تراثها

اللغوي الغني من خلال إنشاء مراكز بحثية لتوثيق اللغات المحلية. وكانت مثل هذه الجهود ترمي في الأساس الى التخلص من الإرث الاستعماري بما في ذلك الهيمنة الثقافية للمستعمر كما كان بناء الهوية الوطنية الموحدة من أبرز أولويات الدول الافريقية التي حصلت على استقلالها حديثا، وقد لعبت الثقافة دورا مهما بالطبع في هذه الجهود. إضافة الى ذلك كانت هناك رغبة في إبراز ثراء وتنوع التراث الأفريقي، وتصحيح الصورة النمطية التي رسمها الاستعمار عنه.

بالمثل، كانت فترة الستينيات في السودان فترة تحولات سياسية واجتماعية وفكرية كبيرة، فقد كان السودان الذي حصل على استقلاله حديثا، يسعى إلى بناء هويته الوطنية وتحديد مساره التنموي. وشهدت هذه الفترة نشاطا فكريا وثقافيا مكثفا، حيث ظهرت العديد من التيارات الفكرية التي تناولت قضايا الهوية الوطنية، والتنمية، والعلاقات مع أفريقيا والعالم العربي. وكانت جامعة الخرطوم، وخاصة كلية الآداب، مركزا حيويا للفكر والثقافة في السودان، وكان أعضاء هيئة التدريس فيها من المثقفين البارزين الذين ساهموا في تشكيل الرأي العام. وظهرت في ذلك الوقت العديد من التيارات الفكرية كتيار القومية العربية الذي دعا الى الوحدة والتضامن العربي، والتيار الاشتراكي الذي دعا إلى العدالة الاجتماعية والمساواة، وتأثر بالأفكار الاشتراكية في العالم العربي والعالم الثالث، إضافة الى تيارات اخري كالفكر السودانوي الذي كان يدعو إلى الاهتمام بالتراث والثقافة السودانية، وتأثر بالأفكار الأفريقية. ولعبت كلية الآداب واساتذتها دورا هاما في النقاشات الفكرية التي دارت حول هذه التيارات، وساهم أعضاء هيئة التدريس في إثراء هذه النقاشات من خلال كتاباتهم ومحاضراتهم ومساهماتهم الفكرية المختلفة. وضمت هيئة التدريس بكلية الآداب نخبة من المفكرين والأدباء الذين ساهموا في إثراء الحياة الفكرية

في البلاد، منهم بروفيسور عبد الله الطيب الذى كان في ذلك الوقت عميدا لكلية الآداب، وأحد أبرز علماء اللغة العربية والأدب العربي في السودان والمحيط الإقليمي، واهتماماته ومؤلفاته العديدة حول الأدب العربي القديم والحديث معروفة، بالإضافة إلى اهتمامه بالتراث الشعبي السوداني، وبروفيسور يوسف فضل حسن أستاذ التاريخ بكلية الآداب والذى لفت الأنظار باهتماماته ومؤلفاته في تاريخ السودان وفى التراث الشعبي، وبروفيسور محمد عمر بشير والذى كان أستاذا للتاريخ كذلك مع اهتمامات بالتاريخ الاستعماري و القضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة، وغيرهم من الأساتذة الذين شكلوا الأساس الأكاديمي والفكري لكلية الآداب في ذلك الوقت. وتعكس أنشطة وكتابات وابحاث أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب في أوائل الستينيات الكثير حول التيارات الفكرية السائدة التي ساهمت في تشكيل المشهد الفكري في السودان وحول القضايا التي كانت تهم السودان في ذلك الوقت، مثل قضايا التنمية، والوحدة الوطنية، والعلاقات الخارجية. وفي هذا السياق التاريخي والفكري انشئت وحدة أبحاث السودان والتي كانت تهدف إلى إجراء البحوث والدراسات حول القضايا التي تهم السودان، حيث كانت الدوافع الرئيسية لإنشائها هي تعزيز البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية المتعلقة بالسودان، والمساعدة في مشاريع البحث متعددة التخصصات، وتدريب الباحثين، ورعاية المنشورات. وتسلط هذه الأهداف الضوء على الاهتمام بمبادئ الصرامة الأكاديمية وبناء القدرات داخل السودان، بهدف إنشاء بنية تحتية مستدامة لدراسة المجتمع والثقافة السودانية. ويشير التركيز على أهمية البحث متعدد التخصصات إلى الاعتراف بأن التراث السوداني متعدد الأوجه ويتطلب وجهات نظر متنوعة لفهم شامل.

2

الأنشطة والمنهجيات المبكرة لتوثيق التراث السوداني في وحدة أبحاث السودان

كان النطاق الأولي لأهداف وحدة أبحاث السودان لتوثيق التراث واسعا، وشمل الفولكلور السوداني، والتقاليد الشفهية، والثقافة المادية، واللهجات العربية، واللغات السودانية الأفريقية. ويشير هذا النطاق الواسع إلى فهم مبكر للتراث بأنه يشمل الجوانب الملموسة وغير الملموسة للثقافة السودانية. ويمكن أن تظهر مقارنة هذا التعريف المبكر للتراث بالتعريفات اللاحقة، التي ربما تكون أكثر رسمية والتي استخدمتها مؤسسات مثل اليونسكو على وجه الخصوص في معاهداتها اللاحقة التي هدفت الى حفظ وتوثيق واحياء التراث، الي تطور رؤي ودراسات التراث في السودان منذ وقت مبكر للغاية. كان الفولكلور والتقاليد الشفهية اذن محورين مهمين منذ البداية، مع خطط لبرامج بحث مكثفة في هذه المجالات. وقد يعكس هذا الالتزام المبكر مدي الاهتمام بالفولكلور الغني للسودان والإلحاح على توثيق الاجناس الفولكلورية قبل فقدانها بسبب التحديث أو التغير الاجتماعي.

عملت الوحدة في مشاريع بحثية متعددة التخصصات، ورعت تدريب الباحثين، وشرعت في برنامج مكثف لتسجيل وتحليل التقاليد الشفهية والفولكلور السوداني، فجمعت أكثر من 2000 شريط من التقاليد الشفهية

ونشرت التقارير والنتائج. اشتملت المنهجيات الأولية على العمل الميداني، والمقابلات الشفهية، وجمع القطع الأثرية المادية وهي اساليب تتوافق مع ممارسات البحث الأنثروبولوجي والفولكلوري في ذلك الوقت، مع التركيز على المشاركة المباشرة مع المجتمعات والممارسات الثقافية.

من جهة اخري اهتمت شعبة أبحاث السودان بالتاريخ الشفاهي وقد ارست جهودها في هذا المجال الأسس الأولية في الاعتماد على الروايات الشفاهية كمصدر تاريخي، ونظمت ضمن هذه الجهود سمنار التراث القولي بهدف تكوين مقاييس منهجية لجمع الروايات الشفاهية ودراستها وإمكانية كتابة التاريخ من خلال الروايات «القولية» باتباع المنهج المتداخل بين العلوم Interdisciplinary approach.

3

معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية 1972م

أولت وحدة أبحاث السودان اهتماما خاصا بتعزيز البحث في الفولكلور السوداني، والتقاليد الشفوية، والثقافة المادية، واللهجات العربية، واللغات السودانية الأفريقية. ولكن كان هناك شعور بالحاجة إلى إنشاء مركز لإنتاج الدراسات الأفريقية بشكل عام وإقامة روابط ثقافية أوثق بين السودان وجيرانه في المحيطين العربي والافريقي يخول السودان لعب الدور المنوط به كحلقة وصل بين هذين العالمين العربي والافريقي. وبحلول عام 1972، تطورت وحدة أبحاث السودان لتصبح معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية (IAAS)، مما وسع نطاق أنشطتها ليشمل دراسة قضايا الشرق الأوسط وتأثيرها على القارة الأفريقية، بالإضافة إلى تعزيز الدراسات المقارنة بين المنطقتين.

تأسس المعهد من ثلاثة أقسام أكاديمية بحثية، تشمل: قسم الدراسات الأفريقية والآسيوية، وقسم اللغات السودانية، وقسم الفولكلور. وكل قسم منها يدرس برنامج أكاديمي على مستوى الدبلوم العالي، والماجستير، والدكتوراه. واحتوت هذه البرامج على مقررات لتدريس اللغات السواحلية، والهوساوية، والعبرية، والأمهرية. واعتمدت الدراسة مبدأ تداخل العلوم في تدريس المقررات. علي سبيل المثال كان الطلاب يدرسون الفولكلور الافريقي

او الآسيوي في احدى المناطق في افريقيا او اسيا ويكونوا مطالبين ايضا بدراسة كورسات في لغات المناطق التي يدرسون فولكلورها والتي يقدمها قسم اللغات السودانية والافريقية. وذلك بهدف خلق علاقة تكاملية بين جميع اقسام المعهد.

وقد لعب المعهد منذ انشاءه دورا هاما كمؤسسة أكاديمية رائدة في السودان، كما ساهم بشكل كبير في دراسة التراث الشعبي السوداني الغني والمتنوع. حيث واصل جهود وحدة أبحاث السودان في جمع وتوثيق التراث الشفاهي السوداني، بما في ذلك الحكايات الشعبية والأغاني والأمثال والأساطير. كما قام باحثو المعهد بإجراء دراسات ميدانية في مختلف مناطق السودان، لجمع وتسجيل المواد الفولكلورية من مصادرها الأصلية. وقد ساهمت هذه الدراسات في إبراز أهمية الفولكلور كمصدر هام للمعرفة حول الثقافة والتاريخ السودانيين، كما ساعدت في الحفاظ على التراث الشعبي السوداني من الاندثار وعززت الوعي بأهمية التنوع الثقافي في السودان. كما هدف المعهد إلى إنشاء متحف للثقافة المادية لجمع وحفظ أدوات الثقافة المادية السودانية، المبادرة التي تشير في حد ذاتها إلى فهم أهمية الموجودات المادية في تمثل وفهم التراث السوداني. بالإضافة إلى ذلك، فقد ساهم المعهد في تدريب الكوادر الوطنية في مجال الدراسات الفولكلورية، وتوفير المنح الدراسية للطلاب والباحثين المهتمين بهذا المجال. وقد شهد قسم الفولكلور في المعهد، بقيادة شخصيات بارزة مثل بروفيسور سيد حامد حريز، وبروفيسور عبد الله على إبراهيم وبروفيسور احمد عبد الرحيم نصر تخريج العديد من الباحثين وأسهم في جمع وتوثيق جوانب مختلفة من الثقافة الشعبية السودانية.

4

برنامج الفولكلور
بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية

برنامج الدبلوم العالي في الفولكلور بالمقررات:

يقدم قسم الفولكلور برنامج دراسات عليا تشمل الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه في الفولكلور. وينضم الطلاب الى البرنامج الأولى وهو الدبلوم العالي في الفولكلور بعد التخرج من الجامعة. ويتنوع طلاب القسم ما بين خريجي التاريخ، الجغرافيا، الأنثروبولوجي، الاثار، الفنون الجميلة، الدراسات الاجتماعية، والتصميم الداخلي وخلفيات أخرى. وهناك شروط محددة للالتحاق بالقسم منها درجة التخرج واجادة اللغة الإنجليزية وتعتبر الخبرة بعد التخرج في مجال يتصل بالتراث ميزة إضافية للقبول. يمتد البرنامج على فصلين دراسيين كل فصل يشتمل على ثمانية كورسات يخضع الطالب بعد كل فصل لامتحانات تقييمية. ويدرس الطلاب خلال البرنامج الكورسات التالية: نظريات الفولكلور، العمل الميدانى في الفولكلور، الفولكلور التطبيقي، التراث الشفاهي في افريقيا، الثقافة المادية، التراث الشفاهي والتاريخ، فولكلور الشرق الأوسط، الفولكلور السوداني.

برنامج الماجستير في الفولكلور:

بعد الحصول على درجة الدبلوم العالي في الفولكلور بمعدل لا يقل عن 60% يدرس الطالب فصلا دراسيا ويكتب بحثا تكميليا للحصول على درجة الماجستير

الفولكلور. الفصل الدراسي في هذا البرنامج عبارة عن محاضرات يغلب عليها طريقة السمنارات والمدارسة، وتعتمد على الطابع العملي التطبيقي الذي يستند على الفهم العلمي الدقيق، حيث يكلف الطلاب بكتابة بعض الموضوعات وعرضها في سمنارات والاستفادة من المناقشة حولها. وكورسات هذا الفصل الإضافي وهي: الادب الشفاهي، علم المتاحف والتوثيق، علم موسيقى الشعوب، الموروث وكتابة التاريخ. ومن الملاحظات الهامة على هذه الكورسات هو انها تتعرض لنفس المواضيع التي تمت دراستها في الدبلوم العالي لكنها متوسعة وأكثر ميلا الى التخصصية. ويتم التركيز في هذه المرحلة على جملة من المهارات البحثية مثل منهجية البحوث، التدريب على أساليب العمل الميداني، القدرة على التحليل، التفكير النقدي، مهارات التواصل مع المجتمعات المحلية، والقدرة على التحليل الثقافي. ويخضع الطالب بعد الفصل الاول للتقييم اما عن طريق الامتحانات المباشرة واما عن طريق كتابة الاوراق البحثية في المواد التي درسها. ومن ثم يبدا الطالب في الفصل الثاني بكتابة بحث تكميلي يشرف عليه أحد اساتذة القسم في أي من مجالات الفولكلور المعروفة (التراث والتاريخ الشفاهي، الثقافة المادية وعلم المتاحف، العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية، فنون الاداء).

برنامج الدكتوراه في الفولكلور:

ويتطلب الحصول على درجة الدكتوراه الدراسة بالبحث لمدة اقلها ثلاث سنوات ويمكن ان تزيد حسب التقدم في اعمال البحث. وغالبا ما تشتمل هذه الدراسات على اعمال ميدانية يقوم بها الطالب ويودع حصيلتها في أرشيف الفولكلور بالمعهد.

5

اتساع نطاق البحوث بقسم الفولكلور

من اهم الانطباعات التي يمكن ان يلاحظها المرء إذا استعرض عناوين بحوث الدبلوم والماجستير والدكتوراه التي تمت في الفترة من منتصف السبعينات والى منتصف الثمانينات هو انها حفلت بالاهتمام بالفولكلور والتقاليد الشفاهية الافريقية، فتعرضت بعض الدراسات للفلكلور والسياسة الافريقية واستعرض بعضها خصائص شعر الهوسا التقليدي، واهتم بعضها بمقارنة الامثال الشعبية السودانية والتنزانية ومراميهما التعليمية، مع الاهتمام ببعض القضايا والظواهر الاجتماعية في السودان مثل الهمبتة والحروز والسيرة الشعبية والمؤسسات الدينية. اما من منتصف الثمانيات والى قبيل الحر ب الحالية (2022) فقد اتسع نطاق البحوث التي عمل بها طلاب برنامج الفولكلور في معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية وامتد ليشمل نواحي عديدة تتعلق بالتراث بشقيه المادي وغير المادي والتاريخ الشفاهي وبعض القضايا المعاصرة مثل القومية والهوية والمؤسسات الدينية والنزاعات والسلم الاجتماعي والسياحة والمتاحف. ويشير اتساع نطاق البحوث التي تقع تحت مظلة الفولكلور في المعهد الى ما ركز عليه المعهد وقبله وحدة أبحاث السودان من أهمية تداخل التخصصات. وقد أكدت الأبحاث التاريخية للمعهد على هذا التوجه. فكانت من أبرز الدراسات تلك التي تمت في نطاق التراث الشفاهي والتي شملت الانساب والقبائل بعاداتها وتقاليدها وتراثها الشعبي من قصص وامثال وعادات وتقاليد ومعتقدات. كما شملت الجهود في هذا الجانب دراسة اللهجات المحلية

وتوثيق المفردات والتعبيرات الشعبية. وقد ساعد هذا بطبيعة الحال في جمع وتوثيق والشعر الشعبي والحكايات الشعبية، والأساطير، والأمثال، والأغاني من مصادرها الأصلية في مختلف مناطق السودان، حيث كان الطلاب يودعون حصيلة جمعهم الميداني الذي يقومون به بغرض الدراسة في أرشيف الفولكلور بالمعهد وهي إحدى الطرق التي نما وتطور أرشيف الفولكلور عبرها.

شملت الدراسات كذلك على جوانب من الفولكلور التطبيقي حيث تم بحث كيفية تطبيق الفولكلور في مجالات مختلفة مثل التعليم، والتنمية المجتمعية، والفنون. وفى جانب الثقافة المادية تم التركيز على توثيق الحرف التقليدية، والأزياء الشعبية، والفنون التشكيلية الشعبية. ثم شملت الدراسات في هذا الجانب فيما بعد التراث المادي بما يتعلق به من دراسات المتاحف وبحث قضايا متعلقة بالسياحة في السودان. غطت العديد من الدراسات كذلك فنون الأداء والموسيقي والآلات الموسيقية التقليدية حيث تمت دراسة الموسيقى الشعبية والأغاني، والرقصات، كما تم التركيز على توثيق التراث الموسيقي للمجموعات العرقية المختلفة في السودان.

لاقت دراسات التاريخ الشفاهي نصيبا وافرا من الاهتمام كذلك حيث تمت العديد من الدراسات التي أفادت من الروايات الشفاهية كمصدر من مصادر التاريخ حيث تم التركيز على جمع الروايات الشفاهية من كبار السن، وتوثيق الأحداث التاريخية التي تناقلتها الأجيال وجمع وتوثيق التاريخ المحلي ونتيجة لذلك صدرت العديد من الدراسات في هذا المجال كان من ابرزها: تاريخ الشعدیناب من خلال الروايات الشفاهية لسيد حامد حريز، تاريخ الكبابيش من خلال الروايات الشفاهية لعبد الله

علي إبراهيم، تاريخ اليعقوباب الشفهي الديني لشرف الدين الأمين عبد السلام، و الروايات الشفوية وحركة 1924 السودانية لمحاسن حاج الصافي وقيصر موسى الزين، ومايرنو النيل الأزرق: دراسة سيرة شفاهية لأحمد عبد الرحيم نصر، وغيرها. مع تطور الدراسات وتداخلها مع الكثير من العلوم التي لها لحمة وصلة بالفولكلور كالطب والتاريخ والاثار وعلم النفس والعلوم السياسية بدأت هذه الدراسات تأخذ بالنواحي التحليلية فنظرت للواقع الاجتماعي والسياسي من زوايا عديدة وبدأت في معالجة ظواهر والقضايا الثقافية المعاصرة مثل قضايا الهوية الوطنية والتعددية الثقافية والفكرية، والقومية وسياسات اللغة والنزاعات المسلحة والسلم الاجتماعي وهذا قليل من كثير من النطاق الواسع الذى غطته هذه الدراسات طوال الخمسين عاما التي مرت على انشاء معهد الدراسات الافريقية والاسيوية.

6

معارف متعددة وشهادة عامة

يعد قسم الفولكلور بمعهد الدراسات الافريقية والاسيوية من الأقسام الرائدة والنادرة في الوطن العربي، فالسودان كان من أوائل الدول التي أدخلت تخصص الفولكلور ضمن تخصصات جامعاتها، ولسنوات عديدة لم يكن لمسمي الشهادة (فولكلور) مكافئ في الجامعات العربية والإقليمية. وحتى وقت قريب كان ميدان هذا التخصص هو الجامعات الغربية والامريكية مثل جامعة انديانا التي يمنح قسم الفولكلور وموسيقي الشعوب فيها شهادات متخصصة في (الفولكلور) بهذا المسمى تشمل ماجستير الفولكلور وماجستير علم موسيقي الشعوب ودكتوراه الفولكلور ودكتوراه علم موسيقي الشعوب. وجامعة ولاية اوهايو والتي تضم مركزا لدراسات الفولكلور يمنح درجة ماجستير الآداب في اللغة الإنجليزية مع تركيز في الفولكلور، ودرجة ماجستير الآداب في الدراسات المقارنة مع تركيز في الفولكلور، ودرجة دكتوراه في اللغة الإنجليزية مع تركيز في الفولكلور، ودرجة دكتوراه في الدراسات المقارنة مع تركيز في الفولكلور.

أثر اتساع نطاق الدراسات التي عمل عليها طلاب الفولكلور طوال العقود الماضية على مخرجات البرنامج الفولكلور الأكاديمي في نواحي عديدة. فهو وفر للطلاب فهما شاملا للتراث الثقافي السوداني وعلاقته بالجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. كما شجع على تبني

مناهج بحثية متعددة التخصصات، وهو أمر قيم في فهم الظواهر الثقافية المعقدة. ومع ذلك، فإن عدم وجود تخصص دقيق في الشهادات الممنوحة شكل ويشكل تحديا أمام خريجي البرنامج في سعيهم للحصول على فرص عمل متخصصة. فالقسم يمنح درجة الدبلوم العالي في الفولكلور، وماجستير الآداب في الفولكلور، ودكتوراه الفلسفة في الفولكلور بمسمي واحد وهو (الفولكلور) دون الإشارة الى أي نوع من التخصصية. وقد استمر هذا الهيكل العام للشهادات لسنوات عديدة.

إن تسمية الشهادات بمسمى (الفولكلور) بشكل عام في جميع المستويات الأكاديمية قد يحمل بعض القيود. ففي حين أن علم الفولكلور هو مجال واسع ومتعدد الأوجه، فإن سوق العمل غالبا ما يبحث عن مهارات ومعارف محددة. على سبيل المثال، قد يبحث متحف عن متخصص في حفظ المقتنيات الثقافية المادية، أو قد تحتاج هيئة سياحية إلى خبير في تطوير منتجات سياحية ثقافية مستدامة. في مثل هذه الحالات، قد لا تكون شهادة عامة في الفولكلور كافية لإقناع أصحاب العمل بأن الخريج يمتلك الخبرة المطلوبة. علاوة على ذلك، وبسبب ان شهادة الفولكلور ليس لها مكافئ في الجامعات العربية والإقليمية قد يكون هناك نقص في الوعي لدى أصحاب العمل حول القيمة والتطبيق العملي لشهادة الفولكلور العامة او حول المهارات والقدرات التي يمتلكها خريج الفولكلور. ففي حين أن خريجي الفولكلور يمتلكون مهارات قيمة في البحث والتحليل والتواصل وفهم الثقافات، قد لا يكون أصحاب العمل على دراية بكيفية تطبيق هذه المهارات في سياقات مهنية مختلفة.

7

اعتبارات التخصصية وسوق العمل

في عالم يتسارع فيه التقدم المعرفي والتقني بشكل غير مسبوق، لم يعد الاكتفاء بالمعرفة العامة خيارا كافيا لتحقيق التميز والابتكار. لقد أدركت المؤسسات الأكاديمية وسوق العمل على حد سواء أهمية التخصصية في الدراسات، حيث أصبحت المعرفة العميقة والدقيقة في مجال محدد هي مفتاح النجاح والتطور. لننظر إلى عالم الهندسة الشاسع كمثال حي على هذه الظاهرة. فمن الهندسة بمفهومها العام، تفرعت عشرات التخصصات التي تغطي جوانب حياتنا المختلفة. لم يعد المهندس مجرد منشئ للمباني، بل أصبح مهندسا معماريا يراعي الجوانب الجمالية والوظيفية والاستدامة في تصاميمه، ومهندسا صناعيا يحسن كفاءة العمليات الإنتاجية، ومهندسا طبيا يبتكر الأجهزة والمعدات التي تساهم في إنقاذ الأرواح وتحسين جودة الحياة. وكل من هذه التخصصات، بما تحمله من عمق معرفي ومهارات متخصصة، تمثل قيمة مضافة حقيقية لسوق العمل.

الأمر ذاته ينطبق على ميدان الفنون. فمن رحم الفنون الجميلة بمفهومها الواسع، انبثقت تخصصات دقيقة تلبي احتياجات محددة في سوق العمل. لم يعد الفنان مجرد رسام أو نحات، بل أصبح مصمما داخليا يتقن فنون تهيئة الفراغات الوظيفية والجمالية، أو مصمم أزياء يفهم لغة الألوان

والخامات ليصنع هويات بصرية متكاملة، أو مصمم جرافيك يحول الأفكار المعقدة إلى رسائل بصرية مؤثرة. هذه التخصصات الدقيقة لم تظهر عبثا، بل جاءت استجابة لحاجة السوق المتزايدة لمهارات محددة وموجهة.

والأكثر إثارة للاهتمام هو أن هذه التخصصات الواسعة نفسها ليست ثابتة، بل هي في حالة تطور مستمر. فالحاجة المتزايدة للدقة والابتكار تدفعها إلى التفرع لإنتاج تخصصات أدق وأكثر تركيزا. ففي مجال التصميم الداخلي، قد نجد تخصصات فرعية تركز على تصميم المساحات التجارية أو السكنية الذكية أو حتى تصميم الإضاءة وتنسيق الحدائق. وفي الهندسة المعمارية، قد يبرز متخصصون في تصميم المباني المستدامة أو الترميم الحضري. هذا التطور المستمر يعكس ديناميكية سوق العمل وحاجته الدائمة لمهارات نوعية تواكب أحدث التقنيات والاتجاهات. وتتجاوز أهمية التخصصية في الدراسات مجرد الحصول على وظيفة. فهي تساهم في تعميق المعرفة حيث يسمح التخصص للطالب بالتركيز بشكل معمق على مجال معين، مما يؤدي إلى فهم أعمق وأشمل للمفاهيم والنظريات والتطبيقات. كما يؤدي بالضرورة الى تطوير مهارات عملية وتقنية دقيقة يكتسبها الطالب من خلال دراسته المتخصصة تجعله مؤهلاً للتعامل مع تحديات محددة في مجال عمله. وهي تعزز الابتكار حيث تمكن المعرفة العميقة في مجال محدد المتخصصين من تحديد الثغرات والتحديات والعمل على إيجاد حلول مبتكرة لها. ولهذا كله فهي تسهم بشكل فعال في التنمية. فمن خلال امتلاك الخبرات المتخصصة يستطيع الأفراد المساهمة بشكل فعال في تطوير القطاعات المختلفة ودفع عجلة النمو

الاقتصادي والاجتماعي. وبالضرورة فهي تسهم في زيادة فرص التوظيف حيث يبحث أصحاب العمل بشكل متزايد عن خريجين يمتلكون خبرة ومعرفة متخصصة تلبي احتياجاتهم بشكل مباشر. اذن فالتخصصية في الدراسات لم تعد مجرد خيار، بل أصبحت ضرورة حتمية لمواكبة متطلبات سوق العمل المتغيرة وتحقيق التميز في عالم يتسم بالتنافسية الشديدة. فكما تتفرع أغصان الاشجار لتثمر ألوانا متنوعة من الثمار، تتفرع العلوم والمعارف لتنتج متخصصين قادرين على إحداث فرق حقيقي في مجتمعاتهم والمساهمة في بناء مستقبل أكثر إشراقا.

8

تجارب عربية وإقليمية معاصرة في دراسات التراث

بالمقارنة مع بعض البرامج المشابهة لبرنامج الفولكلور بمعهد الدراسات الافريقية والاسيوية في جامعات أخرى على المستوى الدولي والإقليمي (والتي بدأت في الظهور بعد انشاء معهد الدراسات الافريقية والاسيوية بسنوات عديدة)، نجد أن العديد من هذه المؤسسات تقدم مسارات تخصصية أو شهادات بمسميات أكثر دقة. على سبيل المثال، تقدم بعض الجامعات برامج في إدارة التراث، إدارة المتاحف، رقمنة التراث، السياحة، وإدارة الأرشيف الثقافي. وهذه بعض الأمثلة لجامعات إقليمية وعربية ابتدرت برامج متخصصة في التراث:

جامعة الإمارات العربية المتحدة (الإمارات العربية المتحدة): لديها قسم السياحة والتراث الذي قد يقدم مسارات متعلقة بالتراث الثقافي والسياحة.

جامعة السوربون أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة): تقدم برنامج ماجستير في الآثار والتراث الثقافي حيث يكون التراث الثقافي غير المادي أحد مجالات التركيز.

جامعة الملك سعود: (المملكة العربية السعودية): وهي أعرق الجامعات السعودية: أنشئ بها قسم إدارة موارد التراث التابع لكلية السياحة والاثار في العام 2005م-2006م وهو يقدم برنامج إدارة موارد التراث والذي يحتوي على مسارين مسار إدارة موارد التراث ومسار الارشاد السياحي كما يمنح

درجة الماجستير في إدارة التراث وهو برنامج ماجستير إدارة التراث الوحيد على مستوي جامعات المملكة.

جامعة حائل: (المملكة العربية السعودية): أنشئ قسم السياحة والاثار التابع لكلية الآداب والفنون في العام 2010م وفيه برنامج الاثار وإدارة موارد التراث وهو يمنح درجة بكالوريوس في الاثار وإدارة موارد التراث.

جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل (المملكة العربية السعودية): يقدم برامج بكالوريوس وماجستير في التاريخ والتراث. يشمل تخصصات في التاريخ، الآثار والسياحة، وإدارة التراث. يركز على دراسة التاريخ السعودي والعربي، وعلوم الآثار، وصناعة السياحة.

جامعة لندن (SOAS) بالتعاون مع جامعة عفت (المملكة العربية السعودية): يقدمان دبلوم دراسات المتاحف.

من الملاحظات الهامة ان العديد من الجامعات العربية ما زالت تقدم دراسة الفولكلور والتراث الشفاهي ضمن برامج في كليات الآداب واقسام التاريخ وأحيانا اللغة العربية. وان دراسات المتاحف غالبا ما تكون جزءا من برامج الآثار أو إدارة التراث. وان التاريخ الشفاهي وفنون الأداء تكون في الغالب موضوعات بحثية في برامج للدراسات العليا. وكل هذا يشير الى ان تجربة معهد الدراسات الافريقية والاسيوية في تدريس هذه المجالات تجربة رائدة وهو من اول المؤسسات البحثية على مستوي الوطن العربي التي درست هذه المجالات بتفصيل ومن خلال المقررات والبحوث.

على ان هذه الجامعات استجابت لمتطلبات سوق العمل وقدمت بالفعل خيارات أكثر تخصصا في دراسات الفولكلور والتراث، سواء من خلال

تقديم تخصصات فرعية أو تركيزات ضمن برامج أوسع، أو من خلال تسمية الشهادات بشكل يعكس مجالا أكثر تحديدا للدراسة. ان هذه التخصصات تسمح للطلاب بالتركيز على مجالات اهتمام محددة وتطوير خبرات متعمقة فيها، مما يعزز قدرتهم التنافسية في سوق العمل. ففي سوق العمل التنافسي، يبحث أصحاب العمل غالبا عن مرشحين يمتلكون مجموعة محددة من المهارات والمعارف ذات الصلة بمتطلبات الوظيفة.

على سبيل المثال، تتطلب وظائف المتاحف غالبا خلفية أكاديمية في دراسات المتاحف، بما يشمل إدارة المجموعات وتوثيقها، والقدرة على قيادة البحوث في المقتنيات وتفسيرها وتطوير المعارض والإشراف على حفظ المقتنيات. ومع ان الطالب في مستوى الدبلوم يتملك معظم هذه المهارات ويمكن ان تزيد معارفه إذا اختار ان يكتب بحث الماجستير ضمن هذا المجال لكن ذلك لا يضمن في مسمي الشهادة. وبالمثل تتطلب وظيفة الباحث في التراث مثلا القيام بإجراء البحوث حول جوانب مختلفة من التراث ونشر النتائج. ويمكن أن تكون هذه الأدوار في المؤسسات الأكاديمية أو المنظمات الحكومية أو غير الحكومية، ومن مهاراتها المطلوبة المعرفة بالتراث الثقافي المادي وغير المادي، ومهارات بحثية وتحليلية قوية، وإتقان اللغات ذات الصلة (خاصة العربية والإنجليزية). وكله مما يحسنه خريج الفولكلور خلال تدريبه في المعهد لكنه لا يضمن في الشهادة. ونفس الشيء ينطبق على مجال السياحة والتي يتطلب العمل في وظائفها القدرة على تطوير وترويج المنتجات والوجهات السياحية الثقافية، وغالبا ما يتطلب ذلك فهما للتراث المحلي والعادات والتقاليد ومع ان البرنامج يقدم معرفة عن السياحة كأحد المجالات التي يمكن ان يوظف فيها الفولكلور وقد تمت بالقسم دراسات

كثيـرة في هـذا المجـال ولكنهـا أيضـا لا تضمـن في مسـمي الشـهادة الممنوحـة. وينطبـق الوضـع علـى مجـالات عديـدة متعلقـة مثـل التـراث الثقـافي والتاريـخ الشـفاهي فكلـه ممـا يمكـن ان يلـم بـه طالـب الفلكلـور ضمـن خلفيتـه الدراسـية وتدريبـه في القسـم دون ان يتـم تضمينـه او الإشـارة اليـه في الشـهادة الممنوحـة.

9

هل حان الوقت لإجراء تغيير؟

من وجهة نظري فانه من الضروري لكي يواصل القسم رحلته الطليعية والمتميزة في مجال التراث ان يتخذ بعض التعديلات الضرورية التي تؤكد على ريادته وتضمن بقاءه على قمة المؤسسات العاملة في مجال الفولكلور والتراث في العالم العربي ومنها:

1. **مراجعة مسميات الشهادات:** تحديث مسميات الشهادات لتعكس التخصصات المقدمة (مثل ماجستير في التراث الشفاهي، ماجستير في الثقافة المادية، ماجستير في فنون الأداء، ماجستير في العادات والتقاليد، ماجستير في المعتقدات الشعبية، ماجستير في الفولكلور التطبيقي)، الخ.

2. **إدخال مسارات تخصصية: تطوير مسارات تخصصية داخل برنامج الفولكلور، مثل:**

دراسات المتاحف: يوسع من دائرة دراسة الثقافة المادية في برنامج الفولكلور ويوسع من المعرفة المتخصصة عن المتاحف ، يدرس تاريخ المتاحف ونشأة المتاحف وتطورها عبر العصور، أنواع المتاحف المختلفة، مثل المتاحف التاريخية والفنية والعلمية، الوظائف المختلفة التي تؤديها المتاحف، مثل الحفظ والعرض والتعليم والبحث، إدارة المتاحف والمبادئ والأساليب الحديثة في إدارة المتاحف، بما في ذلك التخطيط والتنظيم والتسويق،

تصميم المعارض المتحفية، بما في ذلك اختيار المقتنيات وترتيبها وتصميم الإضاءة والوسائط المتعددة، التواصل مع الجمهور ودراسة أساليب التواصل الفعال مع الجمهور، بما في ذلك تنظيم الفعاليات والبرامج التعليمية.

إدارة التراث الثقافي: يدمج بين الثقافة المادية والفولكلور التطبيقي في برنامج الفولكلور ويقدمهما في مساق واحد متخصص (إدارة التراث) وهو مجال واسع يهدف إلى الحفاظ على التراث الثقافي المادي وغير المادي وحمايته وإدارته بشكل مستدام. **التراث المادي**: يشمل المواقع الأثرية، والمباني التاريخية، والمقتنيات الفنية والأثرية. **إدارة التراث المادي**: عبر التحديد والتوثيق والإدارة. الحفاظ على هذه الممتلكات من التلف والتدهور. ترميمها وصيانتها عند الحاجة. توثيقها وتسجيلها لضمان الحفاظ على المعلومات المتعلقة بها. إتاحتها للجمهور للتعرف على تاريخهم وثقافتهم. استخدامها في التعليم والتوعية. واستغلالها من خلال صناعة السياحة بشكل مستدام. **التراث غير المادي**: يشمل العادات والتقاليد، والفنون الشعبية، واللغات، والقصص والأساطير، **إدارة التراث غير المادي عبر** حفظ وصون وتوظيف التراث الثقافي غير المادي. مهارات تنظيم المهرجانات والفعاليات السنوية التي تُبرز مختلف جوانب الفولكلور المحلي، مثل الرقصات الشعبية، والأغاني التراثية، والحرف اليدوية، والمأكولات التقليدية. قيم ومحاذير توظيف التراث الثقافي غير المادي في السياحة، قيم وشروط توظيف الحرف التقليدية في السياحة.

الفولكلور والاعلام: يؤكد على أهمية توظيف الفولكلور في الاعلام واعداد البرامج الاذاعية والتلفزيونية، إنتاج برامج وثائقية تستعرض جوانب مختلفة من الفولكلور مثل الحكايات الشعبية، والأغاني، والرقصات، والحرف

اليدوية، تقديم برامج ترفيهية تستوحي أفكارها من الفولكلور، مثل المسابقات والألعاب الشعبية، استخدام العناصر الفولكلورية والشخصيات الفولكلورية في الإعلانات، لإضفاء طابع محلي أصيل على المنتجات والخدمات.

التاريخ الشفاهي والتوثيق: يؤكد على فلسفة التاريخ الشفاهي وأهمية جمع وتحليل وأرشفة الروايات الشفاهية. يتناول المفاهيم الأساسية للتاريخ الشفاهي، وأهميته، وتطوره التاريخي. دراسة مناهج جمع الروايات الشفاهية، وتقنيات المقابلة. دراسة تقنيات التوثيق التي تركز على تقنيات تسجيل وتوثيق الروايات الشفاهية، بما في ذلك استخدام أجهزة التسجيل، وبرامج تحرير الصوت والفيديو، وأرشفة المواد. ودراسة أساليب حفظ المواد الشفاهية، وحمايتها من التلف، وإتاحتها للباحثين، تدريبات عملية على إجراء المقابلات وتسجيلها وتفريغها وتحليلها، تطبيقات التاريخ الشفاهي في مجالات مختلفة، مثل التاريخ الاجتماعي، والتاريخ المحلي، والتاريخ الثقافي، فهم ودراسة القضايا الأخلاقية المتعلقة بالتاريخ الشفاهي، مثل الحصول على الموافقة المستنيرة، وحماية خصوصية المشاركين، وتجنب التحيز. استخدام التاريخ الشفاهي في مساقات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، لدراسة المجتمعات والثقافات المحلية. استخدام التاريخ الشفاهي في مساقات الإعلام، لإنتاج برامج وثائقية، وتقارير صحفية، ومواد إعلامية أخرى.

الفولكلور والسلام: يؤكد على قيمة الفولكلور كجزء لا يتجزأ من الهوية الثقافية للمجتمعات، مما يجعله أداة فعالة للتواصل وحل النزاعات وزيادة التماسك الاجتماعي، يركز على: الفولكلور ودوره في بناء الثقة وتعزيز

التسامح بين المجتمعات المتنازعة، دور الفولكلور في فهم ومعالجة القضايا الاجتماعية، توظيف لفولكلور كأداة للتواصل والحوار ، دور الفولكلور كأداة لتعزيز الهوية المشتركة حيث يُساعد الفولكلور في تذكير المجتمعات المتنازعة بتاريخها المشترك وقيمها المشتركة، مما يُعزز الشعور بالانتماء والتلاحم، استخدام الفولكلور في الاحتفاء بالتنوع الثقافي، مما يُعزز الاحترام المتبادل والتسامح بين المجتمعات المختلفة.

مع النظر في ان تكون مسميات الشهادة تنطبق على المعرفة والمهارة التي يقدمها المسار المحدد.

3. **تطوير وحدات دراسية محددة:** إنشاء دورات متخصصة ضمن كل مسار لتوفير معرفة ومهارات متعمقة.

4. **دمج التدريب العملي والتدريب الداخلي:** دمج الخبرة العملية من خلال التدريب الداخلي في المتاحف والمنظمات الثقافية والمجالس السياحية والمؤسسات البحثية.

5. **تحسين استراتيجيات قابلية التوظيف:** يجب الا ينتهي دور القسم عند تخريج طلابه بل يجب ان يلعب دورا ابعد في مساندتهم في مستقبل حياتهم الوظيفية، ومن ذلك ان يبني القسم شراكات مع الكيانات ذات الصلة التي يمكن ان يلتحق بها الخريجين مثل المتاحف ومنظمات التراث ووكالات السياحة والمؤسسات الثقافية في السودان لتسهيل فرص التدريب الداخلي والتوظيف.

6. **تنظيم ورش عمل وندوات مهنية حول كتابة السيرة الذاتية ومهارات المقابلة والتخطيط المهني:** على ان تكون مصممة خصيصا لخريجي الفولكلور.

7. **عرض أبحاث ومشاريع الخريجين:** تشجيع الطلاب على تقديم أبحاثهم في المؤتمرات والمنتديات العامة لزيادة ظهورهم وإظهار خبراتهم.

8. **إبراز المهارات القابلة للتحويل:** التأكيد على المهارات القابلة للتحويل التي يكتسبها طلاب الفولكلور (مهارات البحث، اتقان أساليب العمل الميداني، القدرة على التحليل، التفكير النقدي، التواصل مع المجتمعات المحلية، الفهم الثقافي) والتي تعتبر قيمة في مجموعة متنوعة من المجالات.

9. **زيادة الوعي والمناصرة:** زيادة الوعي بقيمة ومجال علم الفولكلور وذلك بالتواصل مع أصحاب العمل المحتملين في القطاعات ذات الصلة لتثقيفهم حول المهارات والمعرفة التي يمتلكها خريجو الفولكلور والقيمة التي يمكن أن يقدموها لمؤسساتهم. او تنسيق فرص تدريب للخريجين بهذه المؤسسات كما يمكن اقتراح حملات توعية عامة لتسليط الضوء على أهمية وملاءمة دراسات الفولكلور في المجتمع السوداني ومساهمتها في الحفاظ على الثقافة والتنمية الوطنية.

من خلال تبني إصلاحات في المناهج الدراسية، وتحديث تسمية الشهادات، وتنفيذ استراتيجيات فعالة لتعزيز قابلية التوظيف، وزيادة الوعي بأهمية مجال الفولكلور، يمكن للمعهد أن يعزز مكانته كمؤسسة رائدة في دراسة التراث الشعبي السوداني وأن يحسن بشكل كبير الآفاق المهنية لخريجيه. إن مواءمة البرنامج بشكل أفضل مع متطلبات سوق العمل المتغيرة ستضمن ان يكون البرنامج قبلة الخريجين الراغبين في العمل في المجال الثقافي واستمرار مساهمة خريجي الفولكلور في الحفاظ على التراث الثقافي الغني للسودان وتعزيزه.

10

رؤي لمرحلة ما بعد الحرب
دور المعهد وقسم الفولكلور

ان حماية التراث الثقافي غير المادي بعد فترة الحرب التي عصفت بالمجتمعات المحلية عملية معقدة تتطلب جهودا متضافرة وهي مسؤولية مشتركة تقع على عاتق الجميع، من الحكومات والمؤسسات الاكاديمية والمراكز البحثية والمنظمات الدولية إلى المجتمعات المحلية والأفراد. وفي ظل الظروف الصعبة الراهنة التي يمر بها السودان، يكتسب المعهد وارثه وخبراته أهمية مضاعفة لما يمكن ان يقوم به من أدوار في مرحلة ما بعد الحرب، حيث يمكنه أن يلعب دورا حاسما في إحياء وحفظ وتوثيق التراث السوداني، الذي تضرر بشكل كبير نتيجة للصراع والتمهيد للتعايش السلمي واحلال السلم المجتمعي من خلال عدة محاور منها:

1. **توثيق التراث المهدد:**

من المؤمل ان يلعب المعهد كأقدم المراكز العاملة في مجال التراث في السودان دورا محوريا في توثيق التراث الثقافي المادي وغير المادي الذي تضرر أو أصبح مهددا نتيجة للحرب. يشمل ذلك توثيق المباني التاريخية، والمخطوطات، والتحف، والفنون الشعبية، والتقاليد الشفهية. كما يمكن للمعهد أن يستفيد من ارثه وخبراته في الجمع والتوثيق مع استخدام التقنيات الحديثة، مثل

التصوير الفوتوغرافي والفيديو والتسجيل الصوتي، لضمان حفظ التراث للأجيال القادمة. يشمل ذلك توثيق القصص والحكايات والأغاني والتقاليد الشفاهية من كبار السن وأفراد المجتمع الذين عايشوا التراث قبل الحرب، وجمع الشهادات الشفاهية التي توثق قصص المعاناة والصمود للمجتمعات المحلية المختلفة في مدن وقري السودان خلال فترة الحرب. ويمكن الإفادة من تجربة أرشيف الفولكلور في إنشاء قواعد بيانات رقمية لحفظ وتوثيق التراث الثقافي غير المادي، وتسهيل الوصول إليه. يمكن كذلك المساهمة في توثيق ورقمنة المخطوطات والوثائق والبحوث التاريخية، وتحويلها إلى صيغ رقمية قابلة للحفظ والمشاركة. وإنشاء نسخ احتياطية رقمية ليتم تخزينها في المستقبل في أماكن آمنة خارج مناطق النزاعات. إضافة الى تبادل الخبرات والمعلومات مع الدول الأخرى التي واجهت تحديات مماثلة في حماية تراثها الثقافي غير المادي.

إضافة الى ذلك يمكن ويجب ان يسهم المعهد في اقتراح عناصر لقائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي والتي تهدف الي الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي وحمايته من الاندثار. ورفع الوعي بأهمية التراث الثقافي غير المادي ودوره في تعزيز التنوع الثقافي. وتشجيع المجتمعات على الحفاظ على تراثها الثقافي ونقله إلى الأجيال القادمة. بالإضافة الى توفير الدعم المالي والتقني للمجتمعات التي تسعى إلى الحفاظ على تراثها الثقافي. وهو مسعي مهم واعتقد ان المعهد قد تأخر كثيرا في ادراكه.

2. **تعزيز السلام المجتمعي وتسهيل قبول الآخر والتعايش السلمي:**

يمكن للمعهد ان يسهم في تنظيم منتديات وورش عمل تجمع أفرادا ومؤثرين من مختلف الأعراق والإثنيات السودانية لمناقشة القضايا المشتركة، وتبادل

وجهات النظر، وبناء الثقة. ويمكن للمعهد وشركائه ان يسهموا بتقديم برامج إذاعية وتلفزيونية تحتفي بالتراث المتعدد للسودان لتعزيز الحوار والتواصل والتفاعل بين مختلف مكونات المجتمع. والترويج للتفاهم والتسامح، وتسليط الضوء على القيم المشتركة بين مختلف مكونات المجتمع. إضافة الى دعم المبادرات الثقافية التي تحتفي بالتنوع الثقافي في السودان، وتعزز التفاهم والاحترام المتبادل. إضافة الى ذلك يمكن ان يساهم المعهد بتقديم مقترحات لاستخدام الفولكلور للمساهمة في تطوير المناهج التعليمية التي تعزز قيم السلام والتسامح والتعايش السلمي.

3. إجراء البحوث والدراسات:

من المؤمل كذلك ان تكون مرحلة ما بعد الحرب مرحلة نشطة بالنسبة للمعهد يجري فيها المعهد وطلابه وشركائه المزيد من البحوث والدراسات حول التراث السوداني، بهدف فهم أعمق لجوانبه المختلفة، وتحديد أفضل السبل لحفظه وإحيائه. ويمكن أن تركز هذه البحوث على تأثير الحرب على التراث، وكيفية إعادة تأهيل الممتلكات الثقافية والمجتمعات المتضررة. يمكن للمعهد كذلك أن يلعب دورا حيويا في إجراء البحوث والدراسات حول أسباب النزاعات في السودان، وتحليل التراث لفهم جذور النزاعات والصراعات، وتحديد العناصر الثقافية التي يمكن استخدامها لتعزيز السلام، وتقديم التوصيات للجهات المعنية. كما يمكن للمعهد أن يكون مركزا لتبادل الخبرات والمعلومات حول أفضل الممارسات في مجال بناء السلام.

4. التدريب والتأهيل:

كذلك من الأدوار التي نأمل ان يلعبها المعهد في مرحلة ما بعد الحرب هي اضطلاعه ببرامج تدريبية وتأهيلية للكوادر الوطنية في مجال حفظ التراث،

بهدف بناء قدرات محلية قادرة على حماية التراث وإدارته. ويمكن أن تشمل هذه البرامج التدريب على استراتيجيات الحفظ والتوثيق والاحياء للتراث الثقافي بكافة جوانبه.

5. التوعية والتثقيف:

ومن المؤمل كذلك ومن منطلق دوره الريادي في مجال حفظ التراث ان أن يقوم المعهد بحملات توعية وتثقيف حول أهمية التراث السوداني، بهدف تعزيز الوعي في المجتمعات المحلية بأهمية التراث الثقافي وضرورة حمايته، واستخدام وسائل الإعلام لنشر الوعي بأهمية التراث الثقافي غير المادي، وتسليط الضوء على الجهود المبذولة لحمايته. وإشراك المجتمعات المحلية في حماية التراث، باعتبارهم الحراس الأمناء عليه. كما يمكن أن تشمل هذه الحملات تنظيم الفعاليات والمحاضرات والندوات، وإصدار المطبوعات والنشرات.

6. التعاون مع المؤسسات الدولية العاملة في مجال حفظ وتوثيق التراث:

يمكن للمعهد أن يتعاون مع المؤسسات الدولية المتخصصة في مجال حفظ التراث، مثل اليونسكو، التي تلعب دورا محوريا في حماية التراث الثقافي، من خلال إعداد الاتفاقيات الدولية، وتقديم الدعم الفني والمالي، وتنسيق الجهود الدولية، للحصول على الدعم الفني والمالي اللازم لتنفيذ مشاريعه. إضافة الى منظمات اخري كاللجنة الدولية للصليب الأحمر والتي تلعب دورا هاما في حماية التراث الثقافي أثناء النزاعات المسلحة، من خلال التوعية بالقانون الدولي الإنساني، وتقديم المساعدة الإنسانية. وقد دعمت اليونسكو المعهد بالفعل في مناسبات عديدة اخرها كان بالمساعدة في إعادة تأهيل المعهد بعد احداث فض الاعتصام في 2019م، وهذا يدل على أهمية

المعهد كأحد أعرق المؤسسات وأكبر مستودعات الهوية في السودان. ومن خلال تضافر جهود المعهد مع جهود المؤسسات الوطنية والدولية، يمكننا أن نضمن حماية هذا التراث القيم للأجيال القادمة.

خاتمة:

إن الحفاظ على التراث السوداني ليس مجرد مهمة ثقافية، بل هو ضرورة وطنية. فالتراث هو جزء لا يتجزأ من هوية الشعب السوداني، وهو مصدر إلهام وإبداع للأجيال القادمة. كما أن التراث يمكن أن يلعب دورا مهما في حفظ السلام والتعايش السلمي وتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وقد شهدت وحدة أبحاث السودان، ومن بعدها معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية جهودا حثيثة بذلها رواد البحث العلمي والفولكلوري في سبيل توثيق ودراسة جوانب التراث السوداني المتنوعة. فمن خلال مشاريع بحثية رائدة، وندوات علمية قيمة، وإصدارات أكاديمية مرجعية، تمكن هؤلاء الأساتذة الأجلاء من وضع لبنات أساسية لفهم أعمق لتاريخ السودان وثقافته الغنية. لقد كانت آمالهم معلقة على استمرار هذا المسعى وتعميقه، إيمانا منهم بأن حفظ التراث هو صمام أمان للهوية الوطنية ومصدر إلهام للإبداع.

واليوم، يقع على عاتق الأجيال اللاحقة من الباحثين والدارسين مسؤولية عظيمة تتمثل في إكمال هذا المشوار الذي بدأه الرواد. إن الحفاظ على مكانة معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية كمنارة للتراث والإبداع في السودان يتطلب تضافر الجهود، وتطوير المناهج البحثية، وتشجيع الدراسات البينية التي تستوعب التداخلات الثقافية والتاريخية. وإن

استمرار هذا العمل هو وفاء لجهود السابقين، وضمانة لمستقبل ثقافي مزدهر وغني لأجيال السودان القادمة.

وأخيرا، فما قدمته في هذه الكتيب هي خواطر خطرت لي بحكم تجربتي العملية في قسم الفولكلور بمعهد الدراسات الافريقية والاسيوية حيث انضممت اليه في العام 2005م كمساعد تدريس وحصلت على درجة الماجستير في الفولكلور في العام 2009م والدكتوراه في الفولكلور في العام 2015م وكنت رئيسا للقسم ما بين 2016 الى 2018م. اسال الله التوفيق للجميع وان يرفع عننا الابتلاء ويصلحنا في اوطاننا، وان تكون المرحلة القادمة مرحلة نعيد فيها بناء قدراتنا ونستصحب فيها كل الجهود التي قام بها اساتذتنا في قسم الفولكلور والذين أخلصوا جهودهم وحلموا بان يكون الوطن في مصاف الدول الراقية والرائدة.

المصادر والمراجع

(1) أشـرف عبـد الله الضباعـين، مواقـع التـراث الثقـافي: إدارة وسـياحة وتسـويق، عمـان: وزارة الثقافـة 2012م.

(2) أحمـد مرسـى، صـون التـراث الثقـافي غيـر المـادي، أرشـيف الحيـاة والمأثـوراتالشـعبيةنموذجـا ،القاهـرة:المجلـسالأعلـىللثقافـة2013م.

(3) امنة منور محمد احمد، ادارة التراث الثقافي في السودان دراسة حالة جزيرة سواكن، مجلة الدراسات العليا، جامعة النيلين، العدد 54-2، 2018م.

(4) ادارة المتاحف: دليل عملي، باريس: مجلس المتاحف الدولي (الايكوم) 1992م

(5) حنـان هجـو الشـيخ، إدارة المصـادر الآثاريـة في ولايـة نهـر النيـل (دراسـة حالـة موقـع مـروي القديمـة)، بحـث مقـدم لنيـل درجـة الماجسـتير في الآثـار، قسـم الآثـار، كليـة الآداب، جامعـة الخرطـوم2007م، (غيـر منشـور).

(6) حلمـي شـعراوي وعبـد الحميـد حـواس (ترجمـة)، يـورى سـوكولوف، الفولكلـور قضايـاه وتاريخـه، القاهـرة: الهيئـة العامـة لقصـور الثقافـة 2000م.

(7) عبـد الرحمـن محمـد الحسـن، اسـتدامة السـياحة في السـودان باسـتخدام نظـم المعلومـات الجغرافيـة، المجلـة الاوروموتوسـطية

لاقتصاديات السياحة والفندقة، المجلد الأول، العدد الأول، 2017م، (الصفحات 15-28).

(8) عبد الناصر عبد الرحمن الزهراني، ومحمد أبو الفتوح غنيم، التراث الثقافي ماهيته، مهدداته، وكيفية الحفاظ عليه، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية 2017م.

(9) على محمد عثمان العراقي، ثنائية العلاقة بين التراث الثقافي والاقتصاد الابداعي (مراجعة نقدية لمفهوم الصناعات الابداعية). مجلة أدوماتو، العدد 32، 2015م، (الصفحات 81-90).

(10) فرح عيسى محمد، دور الفولكلور في السلام والتنمية، الخرطوم: معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية 2004م.

(11) كباشي حسين قسيمة، التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي، الخرطوم: دار المروة 2008م.

(12) محمد مصطفي النور، ملاحظات أولية حول استخدام الروايات الشفاهية كمصدر لكتابة التاريخ السوداني (أسطورة الغريب الحكيم نموذجا)، المؤتمر العلمي العالمي (نحو منهج علمي لكتابة التاريخ: تاريخ الإسلام وتاريخ السودان نموذجا)، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 18-19 ديسمبر 2013م.

(13) ناصر على الحميري وإسماعيل على الفحيل (إعداد وأشراف)، هاني فيصل هياجنة، الترويج للتراث ونقله لأجيال المستقبل، الحكاية الشعبية نموذجا، أوراق عمل الملتقى الدولي الثالث للتراث، أبو ظبي، 18-19 مارس 2009م، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة 2013م

(14) نصرالدين سليمان فضل الله، الأثر الاجتماعي للتصوف في: دراسات في الفولكلور السوداني، الخرطوم: دار عزة للتوزيع والنشر 2006م، (الصفحات 93-99).

(15) يحي، سليمان واخرون، توظيف الفولكلور في تنمية السياحة في السودان. الخرطوم: شركة مطابع العملة السودانية، 2017م.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 00249122094856 - 121566207
البريد إلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

يمثل السودان، بموقعه الجغرافي كنقطة التقاء بين أفريقيا والشرق الأوسط، نسيجاً غنياً من التراث الثقافي الذي يشمل مواقع أثرية، وتقاليد شفهية، ولغات، وعادات اجتماعية متنوعة. ولا تكمن أهمية هذا التراث في قدمه فحسب، بل أيضاً في دوره في تشكيل الهوية الوطنية السودانية ومساهمته في التاريخ العالمي. ويشتمل تاريخ السودان على حضارات قديمة مثل كوش ومروي، وتفاعلات مع مصر، وظهور ممالك مسيحية وإسلامية، وماضي استعماري، كل ذلك ترك آثاراً ملموسة وغير ملموسة. وقد يكون إدراك هذه التداخلات والتعقيدات أمراً بالغ الأهمية في فهم الدوافع اللاحقة وراء جهود توثيق التراث السوداني.

APD
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation